شذرات

الذكرى المئوية الثانية

للمجمع اللبناني ١٧٣٦—١٩٣٦

كان « المشرق »[1] في طليعة الداعين الى الاحتفال بهذه الذكرى الشائقة ، ذكرى انعقاد المجمع اللبناني في دير سيدة اللويزة في ٣٠ ايلول و١ و٢ ت ١ ١٧٣٦ . وما ان وافى شهر ايلول من سنتنا الحاضرة ، مقرّباً تلك الذكرى ، حتى اصدر غبطة البطريرك الماروني رسالةً رعائية يدعو فيها ابناءه اجمعين للاحتفال بيوبيل المجمع الذي « كان له اعظم تأثير في الطائفة المارونية في ما يختصّ بسلامة الايمان ، وطهارة الآداب ، والتهذيب البيعي ، والارتقاء في معارج الفضائل المسيحية . » ، معيّناً للاحتفال يوماً رسمياً هو الاحد الواقع فيه ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٦ .

وفي صباح اليوم المذكور اجتمع ، في بكركي ، حول صاحب الغبطة وعشرة من اجباره ، ممثّلُ الحبر الاعظم ، وممثلو بطاركة الروم الكاثوليك ، والسريان الكاثوليك ، والارمن الكاثوليك ، مع ممثلي السلطة الفرنسوية برّية وبحرية ، وعدد كبير من اعيان البلاد اكليريكيين وعلمانيين . فبدئت الحفلات بالوتبة الدينية ترأسها غبطته . ثم دعي الحاضرون لسماع محاضرة قيّمة باللغة العربية ألقاها حضرة الخوري ميخائيل الرجي ، رئيس الكهنة في كاتدرائية القديس جرجس في الثغر ، وقد جال فيها «حول المجمع اللبناني» مستعدّاً لموضوعه بالدرس الطويل ، جامعاً الوثائق الجمّة ، منفردًا بتأويل بعضها ؛ فذكّر ما كان في الطائفة من حاجة الى الاصلاح ، وما رافق فكرة عقد المجمع من موافقات ومعاكسات ، تبعاً للاهواء المتباينة والنزعات المتبادلة بين افراد الاكليروس ،

---

١) راجع الجزء الاول من مشرق هذه السنة (كانون الثاني — اذار) ص ١١٩—١٢٠

وبين افراد الرعية ايضاً ولاسيما المشايخ . عرض كل ذلك بجرأة نادرة ، ونقد صريح ، وتفصيل كاد يستغربه السامعون ، خاتماً بنظريات لم يقرّه عليها الا نفرٌ من الحاضرين .

وبعد وليمة الغداء ، دُعي المحتفلون لسماع محاضرة اخرى باللغة الفرنسوية القاها سيادة المطران عبدالله خوري ، النائب البطريركي العامّ . فلخّص فيها تاريخ الموارنة ، مدنياً ودينياً ، قبل زمن المجمع اللبناني ؛ ثم بسط حسنات المجمع المذكور ، وما اشتمل من الاصلاحات ، وما اتصف به من الميزات ، اذ جمع بين القديم من القوانين والتقاليد الانطاكية المارونية ، والحديث من مختلف الشرائع الرومانية وانظمة المجامع المسكونية ومراسيم الاحبار الاعظمين . وقد طُبعت المحاضرة على حدة[1] فجاءت خير ملخّص للمجمع ، وخير ذكرى لذاك الاحتفال الشائق .

ميخائيل الغزيري

كثيراً ما قرأت في آثار معاصرينا من ارباب البحث العربي اسم العلّامة ميخائيل «الغزيري» على شكل «كازيري» كأنه اسم مستشرق غريب الدار . ولم ارَ من نبّه الى هذا الخطأ الّا الاستاذ فؤاد افرام البستاني في حاشية علّقها على وصف بعض كتب (ص ٤٧٩ من مشرق هذه السنة) ولكنها اتت موجزةً قد يتطلب قارئها مزيداً من المعلومات ، فرأيت ان اجمع ، في هذه الشذرة ، ما اطلعت عليه من ايضاحات في ترجمة هذا العالم الماروني استقيتها من مخطوطات عدة منها كتابات اللبردي الى رومة ، وتقرير السمعاني الى الكرسي الرسولي ، بعد عقد المجمع اللبناني :

لم يكن ميخائيل الغزيري منضوياً تحت قانون الرهبانية الحلبية المارونية

1) Mgr A. Khouri, Conférence sur le Synode du Mont-Liban, à l'occasion du deuxième centenaire 1736-1936. In-8°, 23 pp. Imp. des Miss. Libanais, Jounieh.

اللبنانية ، انما كان كاهناً مارونياً عالمياً ، وُلد في طرابلس (لبنان) سنة ١٧١٠ ، وذهب الى رومية حيث اتمّ دروسه الفلسفية واللاهوتية في مدرسة الطائفة المارونية هناك ، التي كان يديرها في ذاك الحين آباء الرهبانية اليسوعية الجليلة. نال الدرجات المقدسة في ٢٩ ايلول سنة ١٧٣٤ ، ومكث في دير الرهبان الحلبيين هناك يدرّس تلاميذ الرهبانية بكدّ ونشاط ، وظلّ قائماً باعباء مهمته هذه خيرَ قيام حتى دعاه مجمع نشر الايمان المقدس الى ان يرافق السمعاني الكبير الى لبنان ، ويساعده بوظيفة لاهوتي في التئام المجمع اللبناني الذي تمّ عقده في الثلاثين من ايلول والاول والثاني من تشرين الاول في دير سيدة اللويزة سنة ١٧٣٦ .

في سنة ١٧٣٨ عاد الى رومية حاملاً الى مجمع نشر الايمان آراء الطائفة المارونية حول قعادة السمعاني ، وقطن دير مار بطرس ومرشّدَ للرهبان الحلبيين ، يساعد الرئيس الاب يواصاف الدبني البكنتاوي في تدريس الناشئة الرهبانية .

وفي سنة ١٧٤٨ ذهب الى اسبانية بدعوة من الاب (Borago) معرّف فرديناند السادس ، لان الاب المشار اليه كان استاذ عالمنا هذا في الفلسفة ، وهناك التصق بالمكتبة الملكية في مدريد ، فنقل بمعرفة ولي نعمته كتاباً عربياً يدعى شمس الحكمة الى اللغة اللاتينية . وقد اغتالت يد الضياع اصل الكتاب مع الترجمة .

وفي سنة ١٧٤٩ عُيّن عضوًا في ندوة تاريخ مدريد الملكية ، فاخذ من ثمّ يتردد ، بامر الملك ، الى مكتبة الاسكوريال جادًا في اعداد المواد التي تسعفه بوضع مكتبته العربية - الاسبانية (*Bibliotheca arabico-hispana*)

وفي سنة ١٧٥٦ ، بعد موت الخوري اندراوس للقديس يوحنا ، اقام الملك عالمنا مترجماً له في اللغات الشرقية . وبما ان صاحب الجلالة كان يود الغزيري ويعتبره اعتبارًا كبيرًا ، افرغ عليه في نفس السنة لقب نائب محافظ مكتبة الاسكوريال ، وجعل له راتباً شهرياً يتقاضاه وقدره ٢٠٠ غرش ذهباً ، وما انتقل محافظ المكتبة في ١٧٦٣ الى رحمته تعالى حتى اسندت اليه وظيفة

المحافظ الاول لمكتبة الاسكوريال . وفي السنة نفسها جاء اسبانية من رومية بولس خضر العالم الماروني ، فشرع يساعده في وضع فهرست المكتبة . بيد انه لما كان الغزيري صارماً في معاملة معاونه ، وكان يريد ان يبقى المستشرق الوحيد في البلاد الاسبانية ، وكان بولس خضر من جهة ثانية متعجرفاً لا يحني ظهره لاحد ، ولا يتراف الا الى رحمته تعالى ، حدثت مشادة بين هذين العالمين ، اسفرت نتيجتها عن اقصاء خضر الى البورتغال ، حيث توفي بعد ان نال هناك مركزاً يُحسد عليه .

وقبل ان ينجز الغزيري تأليف مكتبته العربية الاسبانية ، نقل من العربية الى اللاتينية مجموعة قوانين الكنيسة الاسبانية ، وكان الاصل مع الترجمة لا يزال محفوظاً في المكتبة الاسبانية قبل نشوب الثورة الاخيرة .

وحسب رأي عالمنا ان هذه المجموعة هي جدّ قديمة ، تنسب الى اسقف يدعى يوحنا دانيال . بيد ان هذا الرأي لم يثبت تحت مبضع النقد الحديث ، لانه وُجد في حاشية علقها النساخ على نسخة اخرى قديمة ان هذه المجموعة لا ترجع الى ما قبل القرن الثاني عشر . وقد كلفته الندوة الملكية ترجمة بعض كتابات عربية اسلامية ، الا انه لم يقم بهذا العبء خير قيام ، كما يستنتج من حكم الندوة عليها بالاهمال .

اما اعظم تآليف هذا العالم فائدةً للعلم فهو مكتبته العربية ــ الاسبانية ، وعنوانها في اللاتينية هكذا :

« *Bibliotheca arabico-hispana Escurialénsis sive libr. omn. manuscript. quos arabice ab auctoribus magnam partem arabo-hispanis compositos bibliotheca coenobii Escurialensis complectitur, recensio et explanatio, opera et studio* Mich. Casiri etc. »

وقد طبع هذا المصنف بمجلدين ضخمين في مدينة مدريد ما بين سنة ١٧٦٠ و١٧٧٠ ، وصدره بمقدمة طويلة ثم اخذ في وصف وسرد مخطوطات مكتبة الاسكوريال التي تُعدّ من اغنى المكاتب الغربية بالمؤلفات العربية ، وخصوصاً الاسلامية . فالمجلد الاول يشتمل على النحويين ، والشعراء ، واللغويين ، وكتّاب

التراجم والسير ، والفلاسفة ، وعلماء الاجتماع والسياسة ، والاطباء ، والرياضيين والفلكيين . والمجلد الثاني مكرس للجغرافية والتاريخ ؛ وقد ضمن مصنفه هذا عدة شهادات تاريخية عربية تساعد الباحث على التنقيب عن تاريخ اسبانية العربية .

اما خطته في هذا الكتاب الفريد فهي انه يُعطي اولًا عنوان المخطوط بحرف كبير ثم يصفه باللاتينية ، وكثيرًا ما يورد ترجمة المؤلف بايجاز ، مع ذكر كتاباته ، معززًا ذلك بشهادات عديدة من مضامين الكتاب ، وبالجملة فانه يكفيك ان تطالع وصف الكتاب في هذا الفهرست حتى تقف على محتوياته بوضوح وجلاء . ولا اظن ان دارساً متبحرًا يستطيع التعمق بالآداب الشرقية ، دون ان يلجأ الى مؤلف عالمنا هذا .

وظل التزيري مثابرًا على خدمة العلم والادب حتى غادر هذه الفانية في مدينة مدريد . وذلك في ١٢ اذار ١٧٩٤ ، الا انه في آخر ايامه فقد ذاكرته وسمعه .

الاب بولس مسعد